

تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { أمن جعل الأرض قرارا } أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساتنا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الأخرى { اﻟﺬﻯ ﺟﻌﻞ ﻟﻜﻢ الأرض قرارا والسماء بناء } { وجعل خلالها أنهارا } أي جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة شقها في خلالها وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك وسيرها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حث ذراهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه { وجعل لها رواسي } أي جبالا شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بهم { وجعل بين البحرين حاجزا } أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا أي مانعا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقضاء كل منهما على صفته المقصودة منه فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود منها أن تكون عذبة زلالا يسقى الحيوان والنبات والثمار منها والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب والمقصود منها أن يكون مأوها ملحا أجاجا لئلا يفسد الهواء بريحها كما قال تعالى : { وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا } ولهذا قال تعالى : { أإله مع اﻟﻪ ؟ } أي فعل هذا أو يعبد على القول الأول والآخر ؟ وكلاهما متلازم صحيح { بل أكثرهم لا يعلمون } أي في عبادتهم غيره